تفسير وفقه آيات المتشابه اللفظي في الدعاء والسجود: دراسة مقارنة

إعداد:

محمد عاطف عبد الكريم التاجوري

باحث دكتوراه بقسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

آيات المتشابه اللفظي هي الآيات التي تكررت في القرآن، ووقع اختلاف بين ألفاظها، وهذا الاختلاف وهذا التكرار هو الذي يطلق عليه (التشابه اللفظي)، وهذا يجعلها آيات مميزة عن غيرها من الآيات، وبالتالي فإن تفسيرها يكون مميزًا من غيره من التفاسير، وكذلك الأحكام الفقهية المستنبطة منها تكون مميزة عن غيرها من الأحكام الفقهية في القرآن، وآيات المتشابه اللفظي -كغيرها من آيات القرآن- تحتوي على علوم متعددة، من توحيد الله -تعالى، والأخلاق، والقصص، والأخبار، والأحكام الفقهية، وقد اختص هذا البحث بالأحكام الفقهية، وهي كثيرة ومتنوعة، وتشمل كل أبواب الفقه، فاخترت نموذجين فقط لهذه الأحكام الفقهية، وهما:

النموذج الأول: آيات المتشابه اللفظي في الدعاء في الصلاة وغيرها.

النموذج الثاني: آيات المتشابه اللفظي في سجود الطاعة في الصلاة وغيرها.

أذكر في كل نموذج تفسير الآيات، ثم الأحكام الفقهية المستنبطة منها، وأقارن بين هذه التفاسير وتلك الأحكام؛ لاختيار الأصوب والأرجح فيها.

الكلمات المفتاحية: آيات، متشابه، لفظي، تفسير، فقه، أحكام، دعاء، سجود.

Research Summary:

The title of this research is interpretation and jurisprudence of verbal similarity in supplication and prostration – a comparative study, verses with verbal similarity are the verses which repeated in the Qur'an with difference between their words, this difference and repetition called verbal similarity, such repetition and similarity make them distinct among the other verses therefore Thier interpretation would be distinct from the others, also juristic judgments that derived from these verses would le distinct from the others in the Qur'an

Verses with verbal similarity like other verses in the noble Qur'an containing many sciences as oneness of Allah, morals, stories, news and juristic judgments, this research was specialized with juristic judgments that are many and difference and includes all chapters of jurisprudence then I mentioned only two models:

The first model: verses with verbal similarity in supplication in prayer and outside it

The second model: verses with verbal similarity in obediance prostration in prayer and outside it

I mention in every model interpretation of verses and juristic judgments that derived from it, and I compare them to select the best and probably

Key words: verses, similarity, verbal, interpretation, jurisprudence, juristics, supplication, prostration.

* * *

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد –صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ:

فقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بتفسير كتاب الله –تعالى– القرآن الكريم، وألفوا التفاسير المطولة، والمختصرة، والعامة، والمتخصصة، ومن أهم هذه التفاسير تفاسير آيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، تلك الآيات التي تكررت مع تشابه بين ألفاظها، وهذا التكرار مع هذا التشابه يلفت النظر بشدة إلى هذه الآيات،

وبالتالي إلى تفاسيرها، وهؤلاء العلماء الذين تخصصوا في تفاسير آيات المتشابه اللفظي عبروا عن أهمية هذا العلم في مؤلفاتهم، فأحدهم وهو الإسكافي[١]، يسمي كتابه في تفسير آيات المتشابه اللفظي: (درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز)، فجعل الآيات المتشابهات بمثابة الدرة بين باقي الآيات، وتأويلها أو تفسيرها بمثابة الغرة بين سائر التفاسير، وعالم آخر وهو الغرناطي[٢] يسمي كتابه في تفسير الآيات المتشابهات: (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل)، والملاك بالكسر والفتح: قوام الشيء، ونظامه، وما يعتمد عليه فيه[٣].

ولما كانت آيات المتشابه اللفظي في القرآن بهذه الأهمية وتفسيرها بهذه المثابة؛ فكذلك الأحكام الفقهية المستنبطة منها تكون لها أهمية خاصة، وميزة معينة، وأهم هذه الأحكام أحكام الصلاة التي هي أهم الأعمال، والصلاة كلها دعاء؛ لقول الرسول ﷺ: «**إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه...**» الحديث، وهو متفق عليه[٤]، وأقرب ما يكون العبد من ربه في صلاته حال سجوده؛ لقول الرسول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[٥].

ومن أجل ذلك فقد اخترت أن أتكلم في هذه الدراسة عن: «**تفسير وفقه آيات المتشابه اللفظي في الدعاء والسجود: دراسة مقارنة**».

أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: يتضح مما سبق أن تفسير آيات المتشابه اللفظي هو من أهم التفاسير لآيات القرآن الكريم، فلا شك أنه من الأهمية بمكان البحث في تفسير آيات المتشابه

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٣٠هـ).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت٧٠٨هـ).

(٣) لسان العرب لابن منظور – ج٦– ص٤٢٦٨.

(٤) رواه البخاري برقم (٤١٣)، ومسلم برقم (٥٥١).

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٢).

اللفظي؛ للوقوف على ما فيه من كنوز تفسيرية، وأسرار ربانية، وذلك في هذين الموضوعين اللذين نحن بصدد بحثهما.

ثانيًا: الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات المتشابه اللفظي هي –أيضًا– أحكام مميزة من أجل تكرار هذه الآيات وتشابهها، فكان الجزء الثاني من هذا البحث فقه آيات المتشابه اللفظي، وذلك –أيضًا– في هذين الموضوعين اللذين نحن بصدد بحثهما.

ثالثًا: لا بد من المقارنة بين آراء المفسرين والفقهاء؛ لاختيار الصواب والراجح منها.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسات سابقة في هذا الموضوع، وهو «تفسير وفقه آيات المتشابه اللفظي في الدعاء والسجود: دراسة مقارنة».

إشكالية البحث:

يوجد عدة أسئلة يجيب عنها هذا البحث، ومن أهمها:

١– ما تفسير المتشابه اللفظي، وما موقعه من علم التفسير؟

٢– ما الأحكام المستنبطة من آيات المتشابه اللفظي؟

٣– ما الأصوب والأرجح من آراء هؤلاء المفسرين وهؤلاء الفقهاء الذين استنبطوا الأحكام الفقهية من آيات المتشابه اللفظي؟

ولا شك أن هذه الأسئلة في نطاق هذين الموضوعين اللذين اخترتهما للدراسة.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المناهج الآتية:

أولًا: المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه، وجمع المعلومات المتعلقة به.

ثانيًا: المنهج الوصفي: وذلك بعرض أقوال الأئمة من المفسرين والفقهاء من المصادر الأصلية المعتمدة.

ثالثًا: المنهج التحليلي: وذلك بتحليل أقوال هؤلاء الأئمة.

رابعًا: المنهج المقارن: وذلك بالمقارنة بين هذه الأقوال.

خامسًا: المنهج النقدي: من خلال الترجيح بين أقوال العلماء وتوضيح أسبابه ومسوغاته.

خطة البحث:

يبدأ البحث **بمقدمة** تشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وإشكالية البحث، ومنهجه، ثم خطة تتضمن مبحثين:

المبحث الأول: آيات المتشابه اللفظي في الدعاء في الصلاة وغيرها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ذكر آيات المتشابه اللفظي في الدعاء وتفسيرها.

المطلب الثاني: الفقه المستنبط من الآيات.

المطلب الثالث: سورة النصر والدعاء في الركوع والسجود.

المطلب الرابع: الفوائد الفقهية من سورة النصر.

المطلب الخامس: صلاة الاستسقاء.

المبحث الثاني: آيات المتشابه اللفظي في سجود الطاعة في الصلاة وغيرها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكر آيات المتشابه اللفظي في سجود الطاعة وتفسيرها.

المطلب الثاني: آيات أخرى من المتشابه اللفظي في سجود الطاعة في الصلاة وغيرها.

المطلب الثالث: الفوائد الفقهية المستنبطة من الآيات.

المطلب الرابع: سجود الشكر.

الخاتمة: تشمل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا متقبلًا، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

المبحث الأول

آيات المتشابه اللفظي في الدعاء في الصلاة وغيرها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

ذكر آيات المتشابه اللفظي في الدعاء وتفسيرها

من سورة البقرة:

قوله –تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة: ٦٠]، وفي الأعراف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

في توجيه التشابه بين الآيتين وما هو الفرق بين انفجرت وانبجست يقول الغرناطي في ملاك التأويل:

إن الفعلين وإن اجتمعا في المعنى فليسا علي حد سواء، بل الانبجاس ابتداء: الانفجار، والانفجار بعده غاية له، قال القرطبي: (الانبجاس أول الانفجار)، وقال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): انبجست: انفجرت، لكنه أخف من الانفجار، وإذا تقرر هذا فأقول: إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسي –عليه السلام– السقيا، قال –تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ والوارد في البقرة طلب موسى عليه السلام من ربه، قال –تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾، فطلبهم ابتداء، فناسبه الابتداء، وطلب موسى –عليه السلام– غاية لطلبهم؛ لأنه واقع بعده، ومرتب عليه، فناسب الابتداء الابتداء، والغاية الغاية، فقيل جوابًا لطلبهم: (فانبجست)، وقبل إجابة لطلبه: (فانفجرت)، وتناسب ذلك، وجاء علي ما يجب، ولم يكن ليناسب العكس، والله أعلم[1].

(١) ملاك التأويل للغرناطي، ط، دار الغرب الإسلامي، ت: سعيد الفلاح، جـ ١، ص ٢١٢، ٢١٣.

وبالتفرقة بين الكلمتين: انفجرت، وانبجست، وأن الانبجاس أخف من الانفجار قال كل مفسري آيات المتشابه اللفظي، ولكن اختلفوا في سبب هذا الفرق، فبينما ذكر الغرناطي أن البداية كانت طلب بنى إسرائيل من موسى أن يطلب من الله –تعالى– أن يسقيهم، وكان هذا أولًا في السورة المكية سورة الأعراف، فناسب ذلك الانبجاس، وهو خروج الماء بضعف وقلة في بدايته، والنهاية كانت توجه موسى –عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام– إلى ربه –تعالى، ودعاؤه له بطلب السقيا، وكان هذا في السورة المدنية سورة البقرة؛ فناسب ذلك الانفجار، وهو خروج الماء بقوة وكثرة، فناسبت البداية البداية، والنهاية النهاية.

وقال بدر الدين بن جماعة في كشف المعاني في متشابه المثاني: إن الانبجاس دون الانفجار، وإن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فعلي هذا إن سياق ذكر النعمة اقتضي ذكر الانفجار، وناسبه، وقيل: هما بمعني واحد؛ فيكون من تنويع الألفاظ والفصاحة [1].

فرأى ابن جماعة أن الانفجار الذي يعني كثرة الماء جاء بعد تعداد ذكر نعم الله علي بني إسرائيل، وهذا في سورة البقرة، ولم يسبق هذه الآية في سورة الأعراف تعداد هذه النعم، فجاء لفظ انبجست، والذي يعني قلة الماء، ويعرض كذلك رأيًا آخر، وهو أن الكلمتين بمعني واحد، والغرض من اختلافهما هو تنويع الألفاظ من باب الفصاحة.

وأما الكرماني في البرهان في متشابه القرآن، فقال: قوله –تعالى (فانفجرت) وفي الأعراف: (فانبجست)؛ لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء، وكان في هذه السورة (واشربوا) فذكر بلفظ بليغ، وفي الأعراف (كلوا)، وليس فيه (واشربوا)، فلم يبالغ فيه[2].

(١) كشف المعاني في متشابه المثاني، لبدر الدين ابن جماعة، ط . دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة،، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م، ت: د. محمد محمد داود، ص ٦٠ .

(٢) البرهان في متشابه القرآن، للكرماني، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ت:=

فقد أيد الكرماني اختلاف المعنى بين الكلمتين، ولكنه أرجعه إلي سبب ذكر لفظ (واشربوا) في قوله –تعالى– من سورة البقرة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ البقرة ٦٠، والشرب يستلزم كثرة الماء، ولم يذكر ذلك في الأعراف، حيث قال: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الأعراف ١٦٠، فذكر مع الأكل فقط انبجست التي تفيد قلة الماء.

وذكر ابن كثير في تفسيره المعني لهاتين الكلمتين نفسه، فقال في تفسير سورة البقرة: وهذه القصة شبيهة بالقصة المذكورة في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله –تعالى– يقص ذلك علي رسوله ﷺ عما فعل بهم، وأما في هذه السورة، وهي البقرة؛ فإنها مدنية، فلهذا كان الخطاب فيها متوجها إليهم، وأخبر هناك بقوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، وهو أول الانفجار، وأخبر هنا بما آل اليه الحال آخرًا، وهو الانفجار، فناسب ذكر هذا هنا، وذاك هناك، والله أعلم [١].

وكذلك البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور قال في تفسير سورة البقرة: ولأن هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذي يدور معناه علي انشقاق فيه سيلان، وانبعاث مع انتشار، واتساع، وكثرة، ولما لم يكن سياق الأعراف للامتنان عبر بالانبجاس الذي يدور معناه علي مجرد الظهور والنبوع[٢].

أما القرطبي في تفسيره لسورة البقرة فقد عرض الرأيين، قال: والانبجاس أضيق من الانفجار؛ لأنه يكون انبجاسًا، ثم يصير انفجارًا، وقيل: انبجس، وتبجس

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ص ١٢٥.

(١) تفسير ابن كثير، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط . دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، جـ ١، ص ١٠٩ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، ط . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، جـ ١، ص ١٤٥.

وتفجر، وتفتق بمعنى واحد، حكاه الهروي (ت ٤٨١هـ)، وغيره [١].

والطبري في تفسيره ذكر أن الكلمتين بمعني واحد، فقال في تفسير سورة الأعراف: فانبجست: فانصبت، وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينًا من الماء[٢].

وإذا رجعنا إلي المعاجم اللغوية نجد أنها كلها تقريبا لم تفرق بين الكلمتين في المعنى، ففي لسان العرب لابن منظور: وبجست الماء، فانبجس. أي: فجرته، فانفجر... وانبجس الماء، وتبجّس. أي: تفجّر[٣].

وغيره من المعاجم اللغوية، كالقاموس المحيط، ومختار الصحاح، والمعجم الوسيط والوجيز ساروا على الطريقة نفسها.

التعليق:

أمام هذا الاختلاف ولأن هذا البحث متخصص في تفسير وفقه آيات المتشابه اللفظي فأنا أميل إلى رأي مفسري المتشابه اللفظي الذين فرقوا في المعني بين الكلمتين، ومعهم كثير من المفسرين للقرآن الكريم، فانفجرت تدل علي كثرة الماء، وانبجست تدل علي قلة الماء.

وكما قال الغرناطي في ملاك التأويل إن البداية كانت الانبجاس، والنهاية الانفجار.

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط . دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، جـ ١، ص ٤١٩.

(٢) تفسير الطبري، ط . دار المعارف بمصر، ت . محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، جـ ١٣، ص ١٧٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ط . دار المعارف، القاهرة، جـ ١، ص ٢١٢، جذر الكلمة (بجس).

المطلب الثاني

الفقه المستنبط من الآيات

وهناك ملمح آخر في الآيات، وهو أنه في البداية كان طلب بني إسرائيل من موسى –عليه السلام، وكان معها الانبجاس، والنهاية طلب موسى –عليه السلام– من الله –تعالى، ودعاؤه له، وكان معها الانفجار.

وفي البداية طلب بني إسرائيل من موسى، وهو مخلوق مثلهم، فنبع الماء بقلة، وفي النهاية طلب موسى –عليه السلام– من الرب –تعالى؛ فتفجر الماء بكثرة، وفي الحالتين فالاستسقاء دعاء لله –تعالى– من أجل السقيا.

وعن النعمان بن بشير (ت ٦٤هـ) –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: "**الدعاء هو العبادة**"، وقرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر ٦٠]، رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح(١).

وهذا الحديث تفسير للآية حيث ورد في أولها الأمر بالدعاء، ثم بعد ذلك توعد المستكبرين عن العبادة، فوضح لنا الرسول ﷺ المعني بقوله: الدعاء هو العبادة.

وفي تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي يقول الشارح: قوله: "الدعاء هو العبادة"... أتي بضمير الفصل والخبر المعرف باللام ليدل علي الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء(٢).

والصلاة كلها دعاء بدليل حديث الرسول ﷺ: عن أبي هريرة –رضي الله

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم ١٤٧٦ ، ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم ٢٩٦٩.

(٢) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، للمباركفوري، ن . محمد عبدالمحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط . مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م، جـ ٩، ص ٣١١.

عنه- عن النبي ﷺ قال: "**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج – ثلاثًا – غير تمام**"، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**قال الله –تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين؛ قال الله –تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم؛ قال الله –تعالى: أثني علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين؛ قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين؛ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين؛ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل)** [(١)].

وقول الله –تعالى- في هذا الحديث القدسي: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين مع أنه المقصود به الفاتحة، ولكنه يشعرك أن الصلاة كلها تحميد لله، وثناء عليه، وتمجيد له، وتفويض إليه –تعالى، وسؤال، ودعاء، وتضرع، وافتقار، كما قال العلماء في شرح هذا الحديث، مثل النووي في شرح صحيح مسلم فقد قال: قوله –سبحانه وتعالى: "**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**" الحديث، قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة.... والمراد قسمتها من جهة المعنى؛ لأن نصفها الأول تحميد لله –تعالى، وتمجيد، وثناء عليه، وتفويض إليه، والنصف الثاني: سؤال، وطلب، وتضرع، وافتقار [(٢)].

ويقول الرسول ﷺ: "**إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه...**" الحديث، وهو متفق عليه [(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم ٣٩٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ط . المكتب الثقافي للنشر التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠١ م، جـ ٤، ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه، حديث رقم ٤١٣ ، ورواه=

ومناجاة الله –تعالى– هي دعاؤه، يقول النووي: قوله ﷺ: "**فإنه يناجي ربه**" إشارة إلى إخلاص القلب، وحضوره، وتفريغه لذكر الله –تعالى، وتمجيده، وتلاوة كتابه، وتدبره(١).

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالإكثار من الدعاء في الصلاة، وأمرنا أن نتخير من أحوال الصلاة الحالة التي نكون فيها أقرب إلى الله –تعالى؛ لنكون أكثر إخلاصًا لله –تعالى– في الدعاء، وليكون ذلك أدعى لقبول الدعاء، وذلك كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: "**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**" (٢).

وكذلك يقول رسول الله ﷺ في آخر حديث آخر: "... **فأما الركوع فعظموا فيه الرب –عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم**"(٣).

ومعنى قمن: جدير، وحري، كما قال النووي في شرح الحديث: وقوله ﷺ (فقمن) هو بفتح القاف، وفتح الميم، وكسرها: لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى، ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى، ويجمع، وفيه لغة ثالثة (قمين) بزيادة ياء، وفتح القاف، وكسر الميم، ومعناه: حقيق، وجدير، وفيه الحث علي الدعاء في السجود(٤).

مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، حديث رقم ٥٥١.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ط. المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠١م، جـ ٥، ص ٤٤ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم ٤٨٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم ٤٧٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ط المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠١م، جـ ٤، ص ٢٠٢.

المطلب الثالث

سورة النصر والدعاء في الركوع والسجود

يقول الكرماني في البرهان: وتسمي –أيضا– سورة التوديع: فإن جواب (إذا) مضمر، تقديره: إذا جاء نصر الله إياك على من ناوأك؛ حضر أجلك، وكان ﷺ يقول لما نزلت هذه السورة: "**نعى الله –تعالى– إليَّ نفسي**"(١).

أما موضع التشابه اللفظي في هذه السورة فقد وضحه الرازي (ت بعد ٦٦٦هـ) صاحب مختار الصحاح في كتابه أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها – من غرائب آي التنزيل، فقال: فإن قيل أية مناسبة بين الأمر بالاستغفار وبين ما قبله، فإن مجيء الفتح والنصر يناسب الشكر والحمد، لا الاستغفار والتوبة؟ قلنا: قال ابن عباس –رضي الله عنهما: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيت إليه نفسه، وقال الحسن: أعلم النبي ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح، والاستغفار، والتوبة؛ ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح؛ فكان يكثر من قوله: "**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم، اغفر لي**"(٢).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان عمر –رضي الله عنه– يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر –رضي الله عنه: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله –تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ النصر ١، فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو

---

(١) البرهان للكرماني، ت . أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، ط . دار صادر، بيروت، ص ٣٧٠.

(٢) أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط . مكتبة فياض، المنصورة، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: اذا جاء نصر الله والفتح – وذلك علامة أجلك – فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، فقال عمر –رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول(١).

وهذا الحديث يدل علي أن علم تفسير المتشابه كان في صدر الرسول ﷺ، وصدور الصحابة، كغيره من سائر العلوم التي تم تدوينها بعد ذلك، فهذا ابن عباس –رضي الله عنهما، وعمر –رضي الله عنه، يعلمان من تفسير هذه الآيات غير ما يعلمه سائر الصحابة، وهما يقولان: إن الله قد أعلم نبيه ﷺ بنهاية أجله في هذه السورة تلميحًا، لا تصريحًا، وقد ذكرنا سابقًا وجه التشابه فيها.

المطلب الرابع

الفوائد الفقهية من سورة النصر

قال ابن كثير في تفسيره: روي البخاري عن عائشة قالت: **كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن"**، وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي (٢).

وهذا الحديث قد رواه البخاري في صحيحة في كتاب صفة الصلاة باب الدعاء بعد الركوع برقم ٧٩٤، وفي باب التسبيح والدعاء في السجود برقم ٨١٧(٣).

ورواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤)(٤).

وهو يدل علي استحباب ذكر هذا الدعاء في الركوع والسجود في الصلاة.

وقال ابن كثير في تفسيره كذلك: فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٠، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ [النصر: ٣].

(٢) تفسير ابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، ط . دار الوفاء، المنصورة، جـ ٣، ص ٦٥٩.

(٣) صحيح البخاري، وشرحه فتح الباري، ط. دار الريان للتراث، القاهرة– جـ ٢، ص ٣٢٨، ٣٤٨.

(٤) صحيح مسلم، وشرحه للنووي، ط. المكتب الثقافي، الأزهر، القاهرة، جـ ٤ – ص ٢٠٣.

عمر من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله، ونشكره، ونسبحه، يعني: نصلي، ونستغفره – معني مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات.

وروي الإمام أحمد عن عائشة قالت: كان رسول الله يكثر في آخر أمره من قول: "**سبحان الله وبحمده، استغفر الله، وأتوب إليه**" وقال: "**إن ربي كان أخبرني أني سأري علامة في أمتى، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده، وأستغفره، إنه كان توابا، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ النصر: ١، فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾** النصر: ٢، ٣، ورواه مسلم [١].

وفيه دليل علي استحباب تسبيح الله، وحمده، واستغفاره في نهاية كل عمل نتقرب به إلى الله –تعالى، وكذلك الصلاة يعقبها الاستغفار، وكما ذكرنا من فعل الرسول ﷺ صلاة ثماني ركعات بعد فتح مكة، والحكمة من التسبيح والحمد معروفة، أما الحكمة من الاستغفار في نهاية أعمالنا أنها مهما كان فهي ناقصة وغير كاملة فنستغفر الله –تعالى– من هذا النقص في هذه الأعمال.

وفي كتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي يبين حكمة الاستغفار، فيقول: وروحه ملاحظة ذنوبه التي أطاحت بنفسه، ونفضها عنها بمدد روحاني، وفيض ملكي، وله أسباب، منها شمول رحمة الله إياه بعمل يصرف إليه دعوات الملأ الأعلى، أو يكون هو فيه جارحة من جوارح التدبير الإلهي في أظهار نافعة للمجهود، أو سد خلة للمحتاج أو ما يضاهي ذلك، ومنها التشبه بالملائكة في هيئاتهم، ولمعان أنوار الملكية، وخمود شرور البهيمية باضمحلال أجزائها، وكسر

(١) تفسير ابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، ط . دار الوفاء، المنصورة، حـ ٣، ص ٦٥٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووي، ط . المكتب الثقافي، الأزهر، القاهرة، جـ ٤، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ورقم الحديث (٢٢٠/٤٨٤) .

سَورتها، ومنها التطلع إلى الجبروت، ومعرفة الحق، واليقين به، وهو قوله ﷺ: "**قال الله –تعالى: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي**"(١)، فإذا استعمل العبد هذه الأمداد الروحانية في نفض ذنوبه عن نفسه اضمحلت عنها(٢).

واستفاد البخاري –رحمه الله– فائدة أخرى من فقه هذه السورة، وهو ما ترجم له في صحيحه في أبواب صفة الصلاة، قال: باب الدعاء في الركوع، ثم ذكر هذا الحديث بسنده عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "**كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم، اغفر لي**".

وكما هو معروف أن فقه البخاري في تراجمه، فقد استدل البخاري –رحمه الله– بهذا الحديث علي جواز الدعاء في الركوع، ولذلك قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في شرح هذا الحديث: قوله (باب الدعاء في الركوع) ترجم بعد هذا بأبواب التسبيح والدعاء في السجود، وساق فيه حديث الباب، فقيل: الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح – مع أن الحديث واحد– أنه قصد الإشارة إلى الرد على من كره الدعاء في الركوع، كمالك، وأما التسبيح فلا خلاف فيه، فاهتم هنا بذكر الدعاء لذلك، وحجة المخالف الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية ابن عباس مرفوعًا، وهي: **فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم**"، لكنه لا مفهوم له، فلا يمتنع الدعاء في الركوع، كما لا يمتنع التعظيم في السجود، وظاهر حديث عائشة أنه كان يقول هذا الذكر كله في الركوع، وكذا في السجود(٣).

---

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة مرفوع إلى النبي ﷺ، وهو جزء من حديث طويل رواه البخاري برقم ٧٥٠٧، كتاب التوحيد، باب قول الله –تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٥]، ومسلم برقم ٢٧٥٨، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٢) حجة الله البالغة، لشاه ولي الله الدهلوي، ط . دار التراث، القاهرة، جـ ٢، ص ٧٦.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط . دار الريان للتراث، القاهرة، جـ٢، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩.

المطلب الخامس

صلاة الاستسقاء

تكررت كلمة استسقى في لفظي: استسقى، واستسقاه في الآيتين: آية سورة البقرة رقم ٦٠، وآية سورة الأعراف رقم ١٦٠، ولم تتكرر في موضع آخر من القرآن.

وفي تفسير كلمة استسقى من سورة البقرة يقول القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء، وحبس القطر، وإذا كان كذلك فالحكم –حينئذ– إظهار العبودية، والفقر، والمسكنة، والذلة مع التوبة النصوح، وقد استسقي نبينا محمد ﷺ، فخرج إلي المصلى متواضعًا، متذللًا، متخشعًا، متوسلًا، متضرعًا... وسنة الاستسقاء الخروج إلى المصلي علي الصفة التي ذكرنا، والخطبة، والصلاة، وبهذا قال جمهور العلماء، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة، ولا خروج، وإنما هو دعاء لا غير، واحتج بحديث أنس الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم(١)، ولا حجة له فيه، فإن ذلك كان دعاء عجلت إجابته، فاكتفي به عما سواه، ولم يقصد بذلك بيان سنة، ولما قصد البيان بين بفعله، حسب ما رواه عبد الله بن زيد المازني قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى، فاستسقى، وحول رداءه، ثم صلى ركعتين. رواه مسلم(٢)(٣).

وهكذا استنبط القرطبي في تفسيره من كلمة استسقى هذا الموضوع الفقهي،

---

(١) حديث أنس رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، حديث رقم ٨٩٥ ، ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، حديث رقم ١٠١٣ ، ونصه: قال: "**فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم، أغثنا، اللهم، أغثنا**".

(٢) حديث عبدالله المازني رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، حديث رقم ٨٩٤، ورواه البخاري فى صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء، حديث رقم ١٠٢٤.

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ط دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، جـ ١، ص ٤١٨.

وهو صلاة الاستسقاء، ونقل صفتها، وكيفيتها من سنة الرسول ﷺ، ولا شك أن صلاة الاستسقاء من أهم العبادات التي يحتاج إليها المسلمون احتياجًا شديدًا عند تأخر الأمطار عنهم، وإذا أقيمت تلك الصلاة، وأعقبها الفرج ونزول الأمطار؛ فما مدى تأثير هذه العبادة بعد ذلك في ازدياد إيمان المؤمنين، وازدياد توجههم إلى الله في سائر أمورهم الأخرى؟ وما مدي تأثير هذا التوجـه في صلاح المجتمع كله؟!

* * *

المبحث الثاني

آيات المتشابه اللفظي في سجود الطاعة في الصلاة وغيرها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

ذكر آيات المتشابه اللفظي في سجود الطاعة وتفسيرها

ومن سورة البقرة قوله –تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

قال الكرماني في البرهان في متشابه القرآن: ذكر هذه الخلال في هذه السورة جملة، ثم ذكرها في سائر السور مفصلًا، فقال في الأعراف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ الأعراف ١١، وفي الحجر: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ الحجر ٣١، وفي سبحان: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء ٦١، وفي الكهف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ الكهف ٥٠، وفي طه: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ طه ١١٦، وفي ص: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ص ٧٤ [(١)].

وهذا يعني أنه في سورة البقرة جاء وصف إبليس بثلاث صفات، وهي الإباء، والاستكبار، والكفر، وفي كل سورة من السور التي ذكر فيها هذا الأمر بعد ذلك ذكرت صفة واحدة، أو صفتان من الثلاث صفات التي جاءت في سورة البقرة، فكانت الصفات في سورة البقرة مجملة، وفي باقي السور تفصيل لهذا الإجمال.

وبمثل هذا الرأي قال بدر الدين بن جماعة في كشف المعاني في متشابه المثاني، حيث قال: مسألة: قوله –تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة ٣٤، فجاء مجملًا، وفي بقية السور مفصلًا.

---

(١) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ت: أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، ط. دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٠ م، ص ١١٨، ١١٩.

جوابه: لما تقدم بالتفصيل في السور المكية أجمله في السورة المدنية، وهي البقرة؛ اكتفاء بما تقدم علمه من التفصيل في المكيات(١).

وقد اتفق العلماء علي أن سجود الملائكة لآدم –عليه السلام– لم يكن سجود عبادة لآدم، واختلفوا هل كان سجود عبادة لله –تعالى، أو تحية لآدم، وسأعرض بعضًا من هذا الاختلاف، ثم أختار القول الراجح في رأيي؛ لتعلقه بموضوع السجود في الصلاة وغيرها.

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: وكان السجود لآدم تكرمة لآدم، وطاعة لله، لا عبادة لآدم، حدثنا به بشر بن معاذ، قال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة: قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ البقرة ٣٤، الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته (٢).

وقال في تفسير الآية ٢٩ من سورة الحجر: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الحجر ٢٩، سجود تحية وتكرمة، لا سجود عبادة (٣).

فمعني قول الطبري إن السجود طاعة لله. أي: عبادة لله، ونفي بالطبع أن يكون عبادة لآدم، وهو في الوقت نفسه تحية، وتكرمة لآدم –عليه السلام.

وقال ابن كثير في تفسيره: وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾: فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته، وقال بعض الناس: كان هذا السجود تحية، وسلاما، وإكراما، كما قال –تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾

(١) كشف المعاني في متشابه المثاني، لبدر الدين ابن جماعة، ت: د . محمد محمد داود، ط . دار المنار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٥٦.

(٢) تفسير الطبري (جامع البيان لأحكام القرآن)، ت . محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر، جـ ١، ص ٥١٢.

(٣) المصدر السابق، جـ ١٤، ص ٦٥ .

يوسف ١٠٠، وكان هذا مشروعًا في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملتنا(١).

فقد ذكر ابن كثير –أيضًا– كما فعل الطبري– قول قتادة أن الطاعة لله أي: عبادة لله، والسجدة لآدم أي: تحية له، وتكريم، وذكر القول الآخر أن سجود الملائكة لآدم كان تحية، وسلامًا، وإكرامًا، واستدل لهذا القول بآية سورة يوسف بسجود إخوة يوسف له، والذي كان مشروعًا من لدن آدم حتى نسخ في ملتنا، ويعني به: ما ورد من حديث عبدالله بن أبي أوفي قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: "**ما هذا يا معاذ؟!**" قال: أتيت الشام، فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: "**فلا تفعلوا؛ فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي علي قتب لم تمنعه**"(٢).

ويقول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: معنى (اسجدوا لآدم): اسجدوا لي مستقبلين وجه آدم، وهو كقوله –تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ الإسراء الآية ٧٨، أي: عند دلوك الشمس؛ وكقوله ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الحجر ٢٩. أي: فَقَعُوا لي عند إتمام خلقه ومواجهتكم إياه ساجدين(٣).

---

(١) مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمي عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، جـ ١، ص ٩٦.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في سننه، ت: عماد زكي البارودي، ط دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٠ م، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، حديث رقم ١٨٥٣، ص ٣٦٣ ، وقال محققه: حديث حسن، وحديث معاذ بن جبل رواه الحاكم في المستدرك برقم (٧٣٢٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (المستدرك علي الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم، ط . دار الكتب العلمية، بيروت، مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص، كتاب البر والصلة، جـ٤، ص ١٩٠، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩ م).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط . دار الشام للتراث، بيروت، جـ ١ ص ٢٩٢.

فقد اتفق رأي القرطبي مع الرأيين السابقين: رأي الطبري، ورأي ابن كثير في أن سجود الملائكة لآدم ليس عبادة لآدم، ولكنه عبادة لله، وآدم قبلة تتخذها الملائكة عند إتمام خلقه، كما نتخذ الكعبة قبلة لصلاتنا.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن: اتفقت الأمة علي أن السجود لآدم لم يكن سجود عبادة – أي: عبادة لآدم، وإنما كان علي أحد وجهين: إما سلام الأعاجم بالتكفي والانحناء والتعظيم، وإما وضعه قبلة كالسجود للكعبة وبيت المقدس، وهو الأقوى؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الحجر ٢٩، ولم يكن على معني التعظيم، وإنما صدر علي وجه الإلزام للعبادة– أي: عبادة الله، واتخاذه قبلة، وقد نسخ الله –تعالى– جميع ذلك في هذه الملة [١].

ورد هذا الرأي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حيث قال: وفي هذه الآية فضيلة لآدم – عليه السلام– عظيمة، حيث أسجد الله له ملائكته، وقيل: إن السجود كان لله، ولم يكن لآدم، وإنما كانوا مستقبلين له عند السجود، ولا ملجئ لهذا؛ فإن السجود للبشر قد يكون جائزًا في بعض الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح، وقد دلت الآية على أن السجود لآدم، وكذلك الآية الأخرى، أعني قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ الحجر ٢٩، وقال –تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ يوسف ١٠٠، فلا يستلزم تحريمه لغير الله في شريعة نبينا محمد ﷺ أن يكون كذلك في سائر الشرائع، ومعني السجود هنا: هو وضع الجبهة علي الأرض، وإليه ذهب الجمهور [٢].

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي، ت: علي محمد البجاوي، ط . دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢ م، جـ ١، ص ١٦ .

(٢) فتح القَدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ط دار الوفاء، المنصورة، الطبعة السابعة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، جـ ١، ص ١٦١.

أضاف الشوكاني هنا أن هذا السجود هو وضع الجبهة علي الأرض في رأي الجمهور؛ ليرد بذلك علي الرأي القائل أنه كان كسلام الأعاجم بالانحناء والتعظيم فقط.

وقال الجصاص في كتابه أحكام القرآن: قال الله –تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ البقرة ٣٤، روى شعبة عن قتادة أن الطاعة كانت لله –تعالى– في السجود لآدم، أكرمه الله بذلك، وروى معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يوسف ١٠٠، قال: كانت تحيتهم السجود، وليس يمتنع أن يكون ذلك السجود عبادة لله –تعالى، وتكرمة، وتحية لآدم –عليه السلام... ومن الناس من يقول: إن السجود كان لله، وآدم كان بمنزلة القبلة لهم، وليس هذا بشيء؛ لأنه يوجب أن لا يكون لآدم من ذلك حظ من التفضيل والتكرمة (١).

ورأي ابن تيمية في مجموع الفتاوى هو الرأي نفسه، حيث قال: فسجود الملائكة لآدم عبادة لله، وطاعة له، وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف، وتكريم، وتعظيم، وسجود إخوة يوسف له تحية، وسلام، ألا تري أن يوسف لو سجد لأبويه تحية لم يكره له؟(٢).

وأري أن هذا هو الرأي الراجح في هذه الآية، وهو الذي عليه معظم علماء التفسير، وهو أن سجود الملائكة لآدم لم يكن عبادة لآدم، ولكنه طاعة لله، وعبادة له، وفي الوقت نفسه تحية، وتشريف، وتكريم لآدم.

أضف إلي ذلك أنها من آيات المتشابه اللفظي في القرآن، وكما ذكرنا أن هذه الآيات لها أهمية خاصة بين آيات القرآن الكريم كلها، وعبر عن هذه الأهمية

---

(١) أحكام القرآن، للجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، جـ ١، ص ٣٦ .

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ط . مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ– جـ ٤، ص ٣٦٠ .

العلماء الذين ألفوا في تفسير هذه الآيات، كما اعتبر الإسكافي أن هذه الآيات هي درة التنزيل وتفسيرها غرة التأويل، وقد ذكرنا سابقًا معاني هذا العنوان، وكما اعتبر الكرماني أن تفسير هذه الآيات هو برهان؛ لما فيها من الحجة والبيان، وكما ذكر الغرناطي أن تفسيره لهذه الآيات حرب علي ذوي الإلحاد والتعطيل، وكما سمي بدر الدين بن جماعة كتابه كشف المعاني في المتشابه المثاني بإضافة الألف واللام إلى كلمة متشابه، خلافًا للعنوان الذي وضع للكتاب بعد ذلك كشف المعاني في متشابه المثاني، فإن العنوان الأخير هو مركب إضافي، أي: مضاف، ومضاف إليه، والمضاف هو كلمة متشابه، أي: المتشابه اللفظي، والمضاف إليه كلمة مثاني، والتي تشير إلي القرآن كله، بينما العنوان الذي وضعه المؤلف لمؤلفه هو المتشابه المثاني بتعريف الكلمتين، فتكون كلمة المثاني صفة لكلمة المتشابه، بمعنى: أن هذا المتشابه اللفظي الذي يثني في القرآن، أي: يتكرر بطريقة بديعة، تحمل في كل مرة صورة لفظية جديدة، ومعاني جديدة، تدفعنا دفعًا للاهتمام بهذه الآيات وبموضوعها ومعانيها؛ حتى لا تلتبس علينا(١).

وكذلك تكرار آيات أمر الملائكة بالسجود لآدم سبع مرات في القرآن بطريقة المتشابه اللفظي، كل هذا يدل علي أهمية هذا الموضوع الذي هو السجود طاعة لله، وعبادة له، وقربة يتقرب بها إليه، وليس مجرد تحية لآدم فقط.

* * *

(١) انظر عناوين هذه الكتب التي أشرنا إليها في الدراسة في مواضع عديدة، وانظر مقدمة بدر الدين ابن جماعة لكتابه، ص ٤٩ .

المطلب الثاني

آيات أخري من المتشابه اللفظي عن سجود الطاعة في الصلاة وغيرها

قوله –تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الرعد ١٥، وقوله –تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ النحل ٤٩، وقوله –تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الحج ١٨.

ذكر الغرناطي آية سورة الرعد، وآية سورة النحل، ثم قال: فيها سؤالان: خصوص آية الرعد بمن، وآية النحل بما، وزيادة قوله: والملائكة، ولم يرد ذلك في سورة الرعد.

ثم أجاب بقوله: إن قبول الأوامر وامتثال الطاعات بالقصد والاختيار إنما يكون من أصحاب العقول، وهم الملائكة، والإنس، والجن، وهم المقصودون في الآية، فوردت ب (من) الواقعة علي العقلاء، لهذا قيل: (طوعًا وكرهًا)... وأما آية النحل فمراعي فيها لفظ (دابة) الوارد فيها؛ إذ هو عام للعاقل، وغيره، فوردت الآية ب (ما) الواقعة علي الأنواع والأجناس.

والجواب عن السؤال الثاني: أن قوله –تعالى– في آية النحل (والملائكة) تخصيص لهم لجليل حالهم، فعينوا بالذكر مع دخولهم في العموم المتقدم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ البقرة ٩٨، مع دخولهما تحت لفظ الملائكة، فإن قلت: لِمَ لَمْ يخصصوا بالذكر في آية الرعد؟ قلت: لأنه لم يقع هناك لفظ دابة الذي هو الموجب لتعيين الملائكة وتخصيصهم بالذكر، فكل علي ما يجب ويناسب، والله أعلم(١).

فاهتم الغرناطي ببيان الفرق في الآيات بين استعمال من وما، حيث إنه لغة

(١) ملاك التأويل، للغرناطي، ط دار الغرب الإسلامي، تونس، ت . سعيد الفلاح، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢ م، جـ ٢، ص ٧٠٠ ، ٧٠١ .

تستعمل من مع العقلاء، وما مع غير العقلاء، ففي آية سورة الرعد ذكرت طوعًا وكرهًا، التي تبين أن المقصود أصحاب العقول الذين يسجدون لله –تعالى– طواعية باختيارهم، أو اضطرارًا وإكراهًا، فاستعمل فيها من، وفي آية سورة النحل وردت كلمة دابة التي تشمل العاقل وغيره، ويكون غير العاقل فيها أكثر؛ فاستعملت ما، ونبه –أيضا– إلى تخصيص الملائكة بالذكر في سورة النحل؛ لشرفهم، وجليل حالهم من بين سائر الدواب، ولم تذكر كلمة دابة في سورة الرعد، فلم يكن هناك حاجة للتخصيص.

أما الكرماني في كتابه البرهان فذكر الآيات الثلاث من السور الرعد، والنحل والحج، ثم قال: في سورة الرعد ذكر الملائكة وتسبيحهم، وذكر بآخره الأصنام والكفار، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات لذلك، وذكر الأرض تبعًا، ولم يذكر من فيها؛ استخفافًا بالكفار والأصنام.

وأما في سورة الحج فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدم ذكر من في السماوات؛ تعظيمًا لهم، ولها، وذكر من في الأرض لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم.

وأما في النحل فقد تقدم ذكر ما خلق الله علي العموم... فاقتضى سياق الآية ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ النحل ٤٩، فقد قال في كل آية ما لاق بها[1].

فقد اهتم الكرماني بتوضيح لماذا جمعت السماوات والأرض في سورة الرعد بدون الفصل بينهما بلفظ (من)، فقال إنه في الآيات السابقة لهذه الآية ذكرت الملائكة وتسبيحهم في قوله –تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد ١٣]، وفي الآية التي بعدها ذكر الأصنام والكفار في قوله –تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد ١٤]، فبدأ في آية السجدة بذكر من في السماوات؛ تعظيمًا

(١) البرهان في متشابه القرآن، للكرماني، ت: أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، ط . دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠ م، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ (بتصرف).

لهم، ولها، ثم ذكر الأرض، ولم يذكر من فيها؛ استخفافًا بالكفار والأصنام.

وأما في سورة الحج فالآية التي قبل آية السجدة فيها ذكر المؤمنين وسائر الأديان في قوله –تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الحج ١٧]، فقدم في آية السجدة ذكر من في السماوات؛ تعظيمًا لهم، ولها، وذكر من في الأرض من المؤمنين السابق ذكرهم.

وفي سورة النحل تقدم ذكر ما خلق الله علي العموم في قوله –تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل ٤٨]، فاختص سياق الآية ذكر ما في السماوات، وما في الأرض.

المطلب الثالث

الفوائد الفقهية المستنبطة من الآيات

الآيات السابقة كلها تدور حول السجود لله –تعالى، سواء أكان في الصلاة، أم غيرها، وسواء أكان طوعًا من المؤمنين، أم كرهًا من غيرهم، وسواء أكان طاعة لله وعبادة له، أم كان تحية، وقد نسخ في ملتنا سجود التحية، وسواء أكان من العقلاء، أم من غيرهم.

والذي يهمنا في هذا البحث السجود عبادة لله –تعالى، وأهمه ما كان في الصلاة.

والصلاة أهم أركان الإسلام بعد التوحيد أو الشهادتين، فهي أكبر القربات إلى الله –تعالى– بعد توحيده، وأقرب ما يكون العبد من ربه في صلاته وهو ساجد، كما جاء في حديث رسولنا ﷺ الذي ذكرناه في مبحث الدعاء في الصلاة وغيرها: "**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد...**"[1]؛ وذلك لأن العبادة هي الذل

(١) الحديث سبق تخريجه.

والخضوع، كما يقال: طريق معبد. أي: ذللته الأقدام، ووطئته، وأذل ما يكون العبد وأخضع لربه إذا كان ساجدًا.

وهذا الذي ذكره ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في زاد المعاد، حيث قال: السجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها، وسفليها، والساجد أذل ما يكون لربه، وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد، فلهذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة، والسجود هو سر العبودية؛ فإن العبودية هي الذل والخضوع، يقال: طريق معبد. أي: ذللته الأقدام، ووطئته، وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجدًا [(١)].

واستدل ابن تيمية في مجموع الفتاوي علي فضل السجود علي سائر أركان الصلاة بأنه قد ثبت في الصحيح: **أن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا موضع السجود**"[(٢)]، فتأكل القدم، وإن كان موضع القيام.

وبأن أول سورة نزلت في القرآن سورة اقرأ، وختمت بقوله –تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ العلق ١٩، وبأن الله –تعالى– قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ القلم ٤٢، ٤٣.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة: "**إنه إذا تجلي لهم يوم القيامة سجد له المؤمنون، ومن كان يسجد في الدنيا رياء يصير ظهره مثل الطبق**"[(٣)].

فقد أمروا بالسجود في عرصات القيامة، دون غيره من أجزاء الصلاة؛ فعلم

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، ط . مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م، جـ ١، ص ٢٣٦ .

(٢) الحديث متفق عليه رواه البخاري في كتاب الصلاة باب فضل السجود برقم ٨٠٦، ولم يذكر غيره في الباب، ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، برقم١٨٢.

(٣) الحديث متفق عليه رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله –تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ القيامة ٢٢، ٢٣، برقم ٧٤٣٩ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم ١٨٣ .

أنه أفضل من غيره.

وبما رواه مسلم في صحيحه عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: لقيت ثوبان مولي رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة، أو قال: بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألته الثانية، فقال: سألت رسول الله ﷺ، فقال: "**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**"، قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء، فسألته، فقال لي مثل ما قال ثوبان(١).

فإن كان سأله عن أحب الأعمال فهو صريح في أن السجود أحب إلى الله من غيره، وإن كان سأله عما يدخله الله به الجنة فقد دل علي السجود دون القيام؛ فدل علي أنه أقرب إلى حصول المقصود.

وبما رواه مسلم –أيضًا– عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لي ﷺ: "**سل**"، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال ﷺ: "**أو غير ذلك؟**" قلت: هو ذاك، قال ﷺ: "**فأعني علي نفسك بكثرة السجود**"(٢).

فهذا قد سأل عن مرتبة علية، وإنما طلب منه كثرة السجود، وهذا يدل علي فضل السجود.

ويستدل علي فضل السجود –أيضًا– بأن مواضع الساجد تسمي مساجد، كما قال –تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾الجن ١٨، وقال –تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ البقرة ١١٤، وقال –تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ) التوبة١٧، وقال –تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّى**

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ، برقم ٤٨٨، وانفرد به عن البخاري.

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه، حديث رقم ٤٨٩.

﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف ٢٩؛ فعلم أن أعظم أفعال الصلاة هو السجود الذي عبر عن مواضع السجود– أي: المساجد – بأنها مواضع فعله[١].

المطلب الرابع

سجود الشكر

قوله –تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مكررة إحدى وثلاثون مرة في سورة الرحمن، بدءًا من الآية ١٣.

قال بدر الدين بن جماعة في كشف المعاني: المقصود بذلك التكرار التنبيه علي شكر نعمة الله –تعالى، والتوكيد له[٢].

وهكذا قال الكرماني في البرهان، ولكن بتفصيل أكثر، حيث قال: كرر الآية إحدى وثلاثين مرة: ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق، ومعادهم، ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار، وشدائدها علي عدد أبواب جهنم، وحسن ذكرها عقيب الآلاء؛ لأن في صرفها ورفعها نعمًا توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك يعد من أكبر النعماء.

وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها علي عدد أبواب الجنة، وثمانية أخري بعدها للجنتين اللتين دونهما [٣].

وبمثل هذا أيضا قال الإسكافي في درة التأويل وغرة التنزيل، والغرناطي في ملاك التأويل، ولكنهما كانا أكثر تفصيلا في الثمانية الأول، حيث اتفقا علي جعلها سبعة عقيب ذكر النعم والآلاء، وقالا: كان العدد سبعة؛ لأن أمهات النعم التي

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد –وفقهما الله، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ– جـ ٢٣، ص ٧٥، ٧٨ (بتصرف).

(٢) كشف المعاني في المتشابه المثاني، لبدر الدين ابن جماعة، ط . دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، ت: د. محمد محمد داود، ص ١٩١.

(٣) البرهان في متشابه القرآن، للكرماني، ت: أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، ط . دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

خلقها الله سبعًا سبعًا، كالسماوات، والأرضين، ومعظم الكواكب، وغير ذلك، واختلفا في بيان الثامنة، فقال الإسكافي: هي الفاصلة بين السبع الأول التي أعقبت ذكر النعم، وبين السبع الثانية التي أعقبت ذكر جهنم، على حين قال الغرناطي: هي المفتتح بها في أول مرة ذكرت في السورة (١).

والسورة من أولها حتى آخرها تعدد نعم الله –تبارك وتعالى– وآلاءه، ابتداء من النعم التي نلمسها في حياتنا، ثم نعم الإنجاء من عذاب يوم القيامة، ومن عذاب جهنم، ثم النعم التي لا عين رأت مثلها، ولا أذن سمعت بها، ولا خطرت على قلب بشر في جنات السابقين، وكذلك في جنات أصحاب اليمين، ويأتي التعقيب علي هذه النعم بأنواعها المتعددة بقوله –تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وفي بداية تفسير السورة في تفسير ابن كثير قال: روى أبو عيسي الترمذي عن جابر، قال: خرج رسول الله ﷺ علي أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلي آخرها، فسكتوا، فقال: "**لقد قرأتها علي الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلما آتيت علي قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد**"(٢)(٣).

وقال المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) في شرح هذا الحديث في تحفة الأحوذي: الخطاب للإنس والجن، أي: بأية نعمة مما أنعم الله به عليكم تكذبون، وتجحدون نعمه بترك شكره، وتكذيب رسله، وعصيان أمره(٤).

---

(١) انظر: ملاك التأويل للغرناطي، جـ ٢، ص١٠٦١، ١٠٦٥، ودرة التأويل وغرة التنزيل للإسكافي، ص ٢٦٦، ٢٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ت: أحمد محمد شاكر، ط . دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م، جـ ٣، ص ٣٦٨.

(٣) الحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الرحمن، حديث رقم ٣٢٩١، وقال محققه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان تلميذ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني إن شيخه قال: حديث حسن.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المكتبة السلفية بالمدينة، جـ ٩، ص ١٧٨.

وهكذا تحثنا هذه الآية المتكررة في هذه السورة على حمد الله –تعالى، وشكره، فقد قال الجن ردًا علي هذا السؤال التقريري بنفي التكذيب بنعم الله وبحمد الله –تعالى، فأراد الرسول ﷺ أن يعلم أصحابه –رضوان الله عنهم– أن يكونوا كذلك، لا يكذبون نعم الله –تعالى، ويحمدونه، ويشكرونه عليها.

وأفضل أحوال الشكر لله –تعالى– حالة السجود، فكما ذكرنا في سجود الصلاة أن الساجد أذل ما يكون لربه، وأخضع له.

قال ابن القيم في زاد المعاد: وكان من هدية ﷺ وهدى أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر، أو اندفاع نقمة، كما في المسند عن أبي بكرة –رضي الله عنه– **أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره، خر لله ساجدًا؛ شكرًا لله – تعالى**[(١)(٢)].

وفي الحديث المتفق عليه أن كعب بن مالك (ت ٥٠هـ) –رضي الله عنه لما جاءته البشري بتوبة الله عليه سجد؛ شكرًا لله[(٣)].

وفي كتاب شرح السنة للإمام البغوي (ت ٥١٠هـ). قال عن سجود الشكر: سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة، طالما كان ينتظرها، أو اندفاع بلية ينتظر انكشافها، أو رؤية مبتلى بعلة، أو معصية، ويخفي سجوده عن المعلول؛ حتى لا يحمله ذلك على الكفران، ويظهر للعاصي؛ لعله يتوب[(٤)].

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد، جـ ١، ص ٣٦٠ .

(٢) الحديث رواه الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سجدة الشكر، حديث رقم ١٥٧٨، وقال: هذا حديث حسن غريب، ... والعمل علي هذا عند أكثر أهل العلم، رأوا سجدة الشكر. ورواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، حديث رقم ٢٧٧١، وقال محققه: حديث حسن، ورواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، حديث رقم ١٣٩٤، وقال محققه: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم ٤٤١٨، ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم ٢٧٦٩.

(٤) شرح السنة، للبغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط . دار بدر، القاهرة، جـ ٣، ص ٣١٦.

الخاتمة

أهم النتائج التي ظهرت من خلال البحث:

١- المتشابه اللفظي في القرآن هو ما اشتبهت الألفاظ به من القصص المتكررة في السور، سواء باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، أو اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وهذا هو مجال البحث.

٢- تخصص كثير من علماء التفسير في تفسير آيات المتشابه اللفظي؛ لما علموه من أهمية هذا العلم بين علوم الإسلام، فسمى أحدهم تفسيره: «درة التنزيل وغرة التأويل»، وهو الخطيب الإسكافي؛ ليبين لمن بعده أن هذا النوع من التفسير ينبغي أن يكون في قمة الاهتمام؛ لأن آيات المتشابه اللفظي تعتبر الدرة بين آيات القرآن المنزل من عند الله، وتفسيرها ينبغي أن يكون الغرة بين تفاسير كتاب الله -تعالى، ووضح في مقدمة تفسيره أن قصده من ذلك رد طعن الجاحدين لكتاب الله -سبحانه وتعالى، الذين يحاولون من خلال هذه الآيات المتشابهات الطعن في القرآن الكريم، وأن يكون تفسيره هذا سدًّا في طريقهم، فلا يستطيعون الاستمرار في هذا الهجوم، وهذا الطعن، وعالم آخر يسمي كتابه في تفسير آيات المتشابه اللفظي «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل»، وهو الغرناطي، ومعنى ملاك التأويل أي: كأنه ملك على التأويل كله، والتأويل هو تفسير كتاب الله -تعالى، فهو المقدم على ما عداه من التفاسير، ويكون -أيضًا- قاطعًا لألسنة أهل الإلحاد والتشكيك في آيات القرآن، وتعطيل حقائقه، ولا عجب من ذلك؛ فقد عد السيوطي في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن آيات المتشابه اللفظي من علوم إعجاز القرآن، وكذلك الزركشي في البرهان في علوم القرآن(١).

٣- تفسير آيات المتشابه اللفظي لا يعد توجيهًا لإظهار وجه المتشابه بين هذه

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، ج١ ص٦٦-٧٢، والزركشي في البرهان في علوم القرآن، ج١- ص٩٣.

الآيات فقط، ولكنه يخضع لمنهج التفسير الصحيح، وأصول التفسير، من حيث تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يوجد فبالسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فإن لم يوجد فبأقوال الصحابة والتابعين، فإن لم يوجد فبلغة العرب، مع الأخذ بعلوم القرآن من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم، وغير ذلك.

٤- معاني القرآن تنقسم إلى ثلاثة أقسام: التوحيد، والأخبار، والأحكام، كما يدل عليه الحديث المتفق عليه أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن(١)، يدل على ذلك بشرح جميع العلماء له، وكذلك المعاني المستنبطة من آيات المتشابه اللفظي تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة، وفي هذا البحث تكلمت عن قسم واحد فقط، وهو المتعلق بالأحكام الفقهية، ولم أتطرق إلى القسمين الآخرين، وهما التوحيد، والأخبار، اللذان يحتاجان -أيضًا- إلى تجلية معانيهما الموجودة في آيات المتشابه اللفظي، وهذا مجال آخر للبحث، ولكنه ليس مجال هذا البحث.

٥- كما أن آيات المتشابه اللفظي آيات مميزة في القرآن، كما ذكرت من العناوين والمقدمات التي ذكرها كثير من المفسرين لهذه الآيات، فكذلك الأحكام الفقهية المستنبطة منها أحكام مميزة، وتتميز عن غيرها من أحكام القرآن بظاهرتي التكرار والتشابه، اللتين تلفتان النظر بشدة للاهتمام بهذه الأحكام.

٦- اشتملت آيات المتشابه اللفظي على أحكام فقهية في جميع أبواب الفقه، ففي مجال العبادات: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وفي غير العبادات: أحوال الأسرة، والبيوع، والأيمان، والنذور، والأطعمة، والجنايات، والحدود، والقضاء، والشهادات، والجهاد، وقد تكلمت في هذا البحث عن أهم هذه الأبواب، وهي الصلاة، وعن أهم أحكامها، وهما الدعاء، والسجود.

---

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠١٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٨١١).

فهرس المصادر والمراجع

١- **أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، (ت: ٥٤٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، أربعة مجلدات.

٢- **أحكام القرآن**، لأحمد بن علي الرازي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ثلاثة مجلدات.

٣- **أحكام القرآن**، لعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراسي، (ت: ٥٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، مجلدان.

٤- **أحكام القرآن**، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، جمعه: أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٥- **أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب آي التنزيل**، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٨هـ)، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة- الطبعة الأولى- ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٦- **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (ت: ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة، ٢٠٠٥م، ثمانية مجلدات.

٧- **البرهان في علوم القرآن**، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، مجلدان.

٨- **البرهان في متشابه القرآن**، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

٩- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم

المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، اثنا عشر مجلدًا.

١٠- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير الطبري ، (ت: ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ثلاثة عشر مجلدًا.

١١- **الجامع لأحكام القرآن**، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الشام للتراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، عشرة مجلدات.

١٢- **حجة الله البالغة**، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م)، دار التراث، القاهرة.

١٣- **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ.

١٤- **زاد المعاد في هدي العباد**، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، خمسة مجلدات.

١٥- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني المشهور بابن ماجه (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق عماد زكي البارودي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة – ٢٠١٠م.

١٦- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث بن عمرو بن عامر المعروف بأبي داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد بن علي جيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٧- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٨- **سنن النسائي المشهور بالمجتبى**، أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣م)، تحقيق سليمان القاطوني، المكتبة التوفيقية، القاهرة- ٢٠١١م.

١٩- **شرح السنة**، الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، دار بدر، القاهرة، ثلاثة عشر مجلدًا.

٢٠- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، محمد أوزدمير، إستانبول، تركيا، ١٩٨١م، أربعة مجلدات.

٢١- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، مكتبة الطبري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، أربعة مجلدات.

٢٢- **صحيح مسلم بشرح النووي**، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، ست مجلدات.

٢٣- **عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر (ت: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ثلاثة مجلدات.

٢٤- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، محمد شمس الحق العظيم أبادي، (ت: ١٣٢٩هـ)، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، أربعة عشر مجلدًا.

٢٥- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، أربعة عشر مجلدًا.

٢٦- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، خمسة مجلدات.

٢٧- **كشف المعاني في متشابه المثاني**، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشهير ببدر الدين ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ) – دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٨- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار

المعارف – القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ستة مجلدات.

٢٩- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** (ت: ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (ت: ١٣٩٢هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ثلاثة وثلاثون مجلدًا.

٣٠- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، مع تضمينات الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في التلخيص، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م، خمسة مجلدات.

٣١- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ثلاثة مجلدات.

٣٢- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، الدكتور/ أ.ي. ونسنك (ت: ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، مكتبة بريل في مدينة ليدن، هولندا، ١٩٣٦م، سبعة مجلدات.

٣٣- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي (ت: ١٩٦٧م)، دار ومطابع الشعب.

٣٤- **مفتاح الصحيحين البخاري ومسلم**، الحافظ محمد الشريف بن مصطفى التوقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٥- **مفتاح كنوز السنة**، وضعه باللغة الإنجليزية الدكتور/ أ. ي. ونسنك، ونقله إلى اللغة العربية : محمد فؤاد عبد الباقي (ت: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٧م) – سهيل أكيديمي، لاهور، باكستان، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٣٦- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢م، مجلدان.

٣٧- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ، ثمانية مجلدات.